اكتبوا

لهذه الصحيفة في نفسي، ذكريات لا تغيب عن ذهني وقلبي، فهي، بعد سواها، ومنذ عشرين ربيعا، نصب عيني وخاطري، لانها أصبحت جزءا من كياني، وفصلا مهما من تاريخ حياتي.

نادرا ما كنت في طفولتي أحمل لعبة أعبث بها، أو دمية تستهويني حمرة خدّها، وزرقة عينيها، وانسدال شعرها الذهبي، بل كان يشدّني قلم وقطعة من الورق أخط عليها أشياء مبهمة، لا هي حروف فتقرأ، ولا رسوم فتسترعي الانتباه، وتدلّ على ميلي الى الرسم.

درس والدي بلا شهادة وغالبا على نفسه وطالع كل ما وقع تحت يده في المطبعة البولسية من كتب وجرائد سحابة ٥٢ سنة. وكتب وترجم بعض الكتب. وكنت على غراره ثم الى جانبه لا أترك الكتاب من يدي، حتى أقف على كل محتوياته، وأفهم كل شاردة وواردة فيه.

اتسعت ثقافتي العامة اتساعا كبيرا، واستطعت أن أناقش أشهر المثقفين، في كثير من الشؤون العلمية والاجتماعية والسياسية.

كان لأبي فضل كبير عليّ، فقدِ وضع أمامي الكتب التي تشعرني بالمتعة الروحية، وتعلّمني المفردات اللغوية، وتنمّي فيّ قوة الذاكرة، وتجعل في ذهني مئات ومئات من المترادفات. كان يسألني، لدى مراجعة الكتب في المطبعة، عن كل كلمة أقرأوها ولا أفهم معناها، حتى غدوت بعد حين، ملمًا بكل ما مرَّ بي من كلمات حسبتها غامضة مبهمة.

في فرنسا علمت العربية في سن الـ٢١، فرحت أمام طلابي الجامعيين أتعمّق في فهم المعاني السامية، وإدراك الحكمة في الآداب المقارنة، لأستطيع أن أكون منشئا مجيدا أضع الكلمة في الموضع الملائم لها من العبارة في خمس لغات تعلّمتها في المدرسة وعبر الأسفار، تماما كما يضع الجوهري الماهر الحجر الكريم في المكان المخصص له من العقد الثمين.

الأحوال تسهم في إبداع الكاتب، ولكن الإجتهاد الشخصي والمثابرة اليومية والتثاقف الدائم شأنها كلها أن تجعل من الكاتب كاتبا. ومقالاتي شبه اليومية منذ عام ١٩٦٥ مردّها الى الله أولا. فنعمة الكتابة الكبرى لا تقدّر في نظري بكل ما على الأرض من كنوز. وها أنا ذا اليوم في بلاد العم سام أتابع نشاطي الأدبي والأكاديمي وأوجّه بعض الجامعيين... في لغة الضاد وسواها من اللغات... فهل يستمر العمل الكتابي في العالم أم يسيطر عليه عالم المكننة الأحادية الأبعاد والأهداف؟!؟

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه – تكساس